وهذه النظرة الانسانية الشاملة ليست غريبة على سميرة عزام ، فالى جانب النماذج الفلسطينية البائسة والمهيضة الجناح ، تمتلىء قصصها بالشخصيات الضعيفة والبسيطة والمظلومة ، وهي دائما تتعاطف مع تلك الشخصيات وتحنو عليها وتبرر لهـا المواقف وتوجد لها الاعذار . كما ان ابطال قصصها في الغالب من الطبقة العاملة والبسـيطة : صبي الكواء ، بائع الصحف ، عاملة الكوافير ، سكرتيرة المدير ، عاملة في مصنع ، بائعة .. الخ . وهي في تصويرها لتلك الشخصيات ، تحللها ، كلا على حدة ، وترسم ملامحها ببساطة وعمق وبصدق بالغ ، وكأني بها تعتنق مذهب تشيكوف حين قال : « ان على المؤلف ان يكون انسانيا الى اطراف اصابعه » . ونجدها من الناحية الوصفية تعتنـي بالتفاصيل وتصف لنا الجزئيات لكي تعطينا صورة متكاملة واضحة عن المنظر او الحالة التي تريد شرحها . وهي في هذا أيضا من مذهب تشيكوف الذي يقول : « ان اقـدس القداسات عندي هو الانسان ، صحته ، ذكاؤه ، موهبته ، وحيه ، حبه ، وحريتـه المطلقة » . وليس هذا غريبا على كاتب كان اصله طبيبا بشريا .

ومن أعذب الصور الانسانية في قصصها صورة الوداع في المطـار عندما نودي على ركاب طائرة البرازيل ، وهب « فرحات » وهب مودعوه من نساء العائلة ورجالهـا يلتقطون معه الصور التذكارية ويزودنه بكلمات الوداع ووصاياه . وتحلـل الكاتبة مشاعر المودعين وخاصة امه التي « يبدأ التاريخ عندها وينتهي بشيء مـن فرحات ولفرحات » . كما تحلل مشاعر المهاجرين في ديار غربتهم وآلام الوحدة وقسوة الحياة في البداية ، ولا تبخل القاصة على فرحات ، الذي انساها وداعه انها في انتظار حضور شقيقتها من القاهرة ، بأجمل التعبيرات التي اعتادت ان تختم بها قصصها او تنثرها بين الفقرات : « ولما ركب الطائرة ووقف على سلمها ، فرشت القرية عواطفها على المدرج ، والقت أم بقلبها على الطائرة .. » .

وفي قصتها « هل كان رمزي » صورة انسانية مؤلمة للام التي ضاع طفلها وهو في الرابعة من عمره ، واعادوه لها بعد اربع سنوات ، وقد كبر واستطالت قامته وتغير شكله الى حد ما ، فأنكرته ، من فرط وجومها وشرود عقلها . واحس هو بذلك ففر من البيت ، واستمرت الأم في وقوفها بمداخل المدينة تتشبث بسترات المارة وتسأل : « هل فيكم من رأى ولدا في الرابعة يلبس بنطالا أزرق ؟ » .

أما قصة « فردة حذاء » فتفاجئنا بالنهاية المأساوية المؤثرة عندما عثر أهل البيت علـى مجموعة من فردات الاحذية « الشمال » في غرفة التخزين على السطح ، وزال عجبهم عندما رأوا ابنة الخادمة تتأبط عكازا خشبيا اذ كانت برجل واحدة .

وتعاطف سميرة ليس فقط مع الآدميين وبني الانسان ، بل أن رقة قلبها واحساساتهـا المشاركة دائما تمتد الى كل أليف وانيس وضعيف من الحيوان ، وقصتها العراقيـة المحلية « سعد والديك » مثل على ذلك . كما ان الفة المكان والتعود عليه عند الكلاب واضحة في قصتها « الحب والمكان » .

أما أكثر الموضوعات التي طرقتها سميرة عزام في قصصها ، فهي الموضوعات النسائية والانثوية ومشاعر الامومة وروابط الزواج والخطبة واحداث الميلاد احيانا . وقد عرضنا لمجموعة من تلك القصص في الصفحات السابقة ، ونضيف هنا أن مجموعة من قصص « الظل الكبير » تدور حول هذه المعاني ، مثل قصة « نصيب » التي تسلط فيها الكاتبة الضوء على الطريقة التقليدية في الخطبة والزواج عند العرب ، وأن « السكوت علامة الرضا » بالرغم مما يدور في رأس العروس من صراع وتردد احيانا ، اذ ان الاحلام لا تتحقق كلها في واقع الحياة . وقصة « ستائر وردية » من النوع الشعبي المحلي ، تحمل من روح التهكم الشيء الكثير ، تاجر عطارة مزواج مطلاق ، وزوجات له متعاقبات ،